

**عنوان المقالة:**

**شعوب عربية خُلقت من الطين**

**"الحركة الصهيونية، نشأتها، توغلها، توسعها"**

**كاتبة المقال:**

**جمانة إسكندر زكي وصايا**

**آذار 2019**

**شعوب عربية خُلقت من الطين**

**"الحركة الصهيونية، نشأتها، توغلها، توسعها"**

إن الشعوب العربية خُلقت من الطين، شعوب عربية أصيلة لن تلين، مطلبها الوحيد العيش بكرامة، شعوب أرادت الحياة، شعوب لا تستحق الدمار، وتحلم بالاستقرار، شعوب ذاقت طعم المرار، ومُنعت حتى من اخذ القرار، ومنعها من الفرار. هكذا هو حال الأمة العربية بدون جدال، أمة جابهت الثورات بكل مقاييسها وبكل مكاييلها، بشعار لم نُهزم ولم نهَرب يوماً. أمة وقفت ضد العدو، ولم تزل صامدة امام كل ثورة او حرب او دمار.

ومن هنا تبدأ الحكاية عن الحركة الصهيونية التي استطاعت بألاعيبها ودبلوماسيتها تحقيق أول انتصاراتها في الحصول على وعد بلفور عام 1917، هذا الوعد الذي منحته دولة عظمى "بريطانيا" لليهود، شكّل اول الخطوات الجدية في سبيل إقامة دولة إسرائيل.

حيث عملت الحركة الصهيونية بصورة مباشرة وغير مباشرة، نحو تكوين فكرة "إسرائيل" تمهيدا لتحقيق التوغل والتوسع من خلال بلورة مفهوم "أرض الميعاد" وإيجاد نوع من الاندماج ما بين واقع إسرائيل العيني والتاريخي من جهة، وبين المثال الأعلى او "اليوتوبيا" التي تصبو الى تحقيقها تحت شعار "الميثاق" الذي يقول سفر التكوين ان إبراهيم عقده مع "إله إسرائيل" من جهة ثانية.

ومن هنا جمعت الحركة الصهيونية العالمية "باعتبارها فكرة ودعوة وحركة" بين البواعث الدينية والخلاصية، التي ترسبت في عقيدتي انتظار مجيء المسيح المخلص، واليوتيوبية من الجهة الواحدة، والمطامع الأرضية والتوسعية "المستترة" من الجهة الأخرى. كما انها لم تتردد في ربط ذلك بعجلة الاستعمار وتكييف مطالبها وفقاً للمصالح الاستعمارية وانسجاماً مع طبيعة المناطق التي يمتد اليها النفود الاستعماري، ومبادئ السياسة التي تعتمدها الدول الكبرى في توجيه وتسيير شؤونها.

إن تاريخ الحركة الصهيونية حافل بالخدمات غير مجانية من تبادل المصالح والغنائم منها تبرع اليهود بتقديمها الى المانيا والامبراطورية العثمانية ثم الى بريطانيا، ثم الى الغرب عموماً، ثم الى الولايات المتحدة والغرب. ويبرز هذا النمط الاستعماري في الفكر الصهيوني والمستند الى حجة نشر الثقافة الغربية وأداء رسالتها حتى تصل حدودها العالم بأسره. ومنذ نشوء الحركة الصهيونية، كان روادها يفكرون بأنفسهم ويقدمون حركتهم على انها طريق للسيطرة على المنطقة.

كما استطاعت الحركة الصهيونية وبأساليبها الملتوية وبضغوطاتها واغراءاتها المستمرة وبالدبلوماسية المستترة والظاهرة، ان تقيم الدولة اليهودية على مناطق هامة من ارض فلسطين باعتراف الأمم المتحدة عام 1948، حيث تمكنت "إسرائيل" من فتح باب الهجرة الحرة والسريعة لليهود الى ارض فلسطين، بهدف زيادة عدد السكان اليهود واغتصاب معظم ارض فلسطين، وطرد أصحاب الأرض (الأصليين) خارج الحدود.

ولم تقف الحركة الصهيونية عند فلسطين المعاصرة، ارضا وشعباً، بل استهدفت سورية الطبيعية كلها انطلاقاً من فلسطين ومعاهدة "سايكس بيكو"، كما استهدفت الامة العربية انطلاقاً من سورية الطبيعية.

ومن هنا كان لا بد للأمة العربية ان تتمسك بالعروبة والهوية والبدء بمشاريع النهضة من اجل المقاومة ضد الحركة الصهيونية ومشاريعها الاستعمارية، وخاصة ان الأمة العربية منذ القدم ومنذ بدء التاريخ وحتى اليوم استطاعت ان تملك الإرادة والرؤية السليمة والقوة المنفذة. وحتى يتحقق الانتصار بالمقاومة فلا بد لهم ان يكتشفوا حقيقة وغايات المشاريع الصهيونية في تحقيق المشروع الصهيوني لأنشاء دولة يهودية في المنطقة العربية. وان الرد على مثل هذه المشاريع لا يكون بالاستسلام ولا بالرضوخ امامه على أرضية أوهام "السلام" واحلامه، وما يشاع من كلام الانبهار، الذي تحمله وعود الازدهار بادعاءات "السلام"، فلا بد للعرب ان يتحدوا بالقوة ليردوا كيد القوة، بنهضة شاملة، ووعياً علمياً بغايات العدو ومشروعه، وإرادة مصممة لبلوغ الهدف.

إن اهداف المشروع الصهيوني لم يكن من الأيام نزاعاً على حدود فقط، فالخطر الصهيوني الذي بدأ في فلسطين وانطلق منها لن يتوقف عند حدودها، ولكن يستهدف الامة العربية بأكملها من موريتانيا الى العراق، ولذلك كانت قضية فلسطين قضية قومية وستبقى كذلك. وهنا ينطبق مثل قضية فلسطين بقصة "أُكلت يوما أُكل الثور الأبيض"[[1]](#footnote-1). وخاصة ان الخطر الذي يمثله الكيان الصهيوني المتحالف مع الاستعمار الأمريكي الجديد/ هيمنة على القرار الدولي والاقتصاد والاعلام والسياسة والقوة المعلوماتية والمال...الخ. لن يقف عند حدود منطقة واحدة، ولن يردعه الا نوع من الوقوف الحازم والقادر في وجهه بقوة شاملة – رادعة، وعدم التسليم بانه قهر الظاهر والباطن في وطننا وانتهى الى هزيمة الامة بصورة شاملة كاملة!

لقد شنت إسرائيل حروباً عدة على العرب وما زالت مستمرة حتى الآن، حيث بدأت من عام 1948، ثم اخذت بالتصاعد عام 1956، وعام 1967. واستطاعت ان تحقق انتصارات هامة خاصة في حرب عام 1967، حيث قامت بالعدوان واحتلت كامل ارض فلسطين التاريخية وجزءاً هاماً من أراضي مصر وسورية ولبنان. وعملت على توسيع قدراتها العسكرية ونفوذها السياسي.

لقد حقق العرب انتصارات هامة في حرب تشرين عام 1973، الا ان تخاذل بعض الأنظمة العربية وتآمر الولايات المتحدة ودعمها غير المحدود عسكرياً وسياسياً لإسرائيل أدى الى تطويق هذه الانتصارات، وتحويلها لصالح إسرائيل. عندها بدأت سلسلة من التراجعات في الموقف العربي بدءاً من الزيارة المشؤومة التي قام بها السادات الى القدس وحتى اتفاق وادي ريفر الأخير، مروراً بكامب ديفيد واوسلو ووادي عربة.

إن ما يعيق الأمة العربية في تحقيق الانتصار هو ما يفرضه هذا العدوان من الحرب والدمار، لأنه يستمد قوته من خلال الدعم الدولي، وبصفة انه صاحب المشروع العدواني يستمر ويستنبت في المنطقة العربية، ليعمل دائما ضد مصالح هذه الامة وهويتها وعقيدتها، ويرسم الخطط ويعد العدة للتفوق المطلق على هذه الأمة، حاضراً ومستقبلاً، ويفرض الحصار المطلق مع حلفائه حتى لا تحرز تقدما ولا قوة ولا حتى أي نهضة.

إن ما حققته الحركة الصهيونية منذ قيامها قبل أكثر من مائة عام، ففي الخمسين سنة الأولى كانت أولى خطوتها هو إقامة "دولة إسرائيل" وأما في الخمسين سنة الثانية عملت على تدعيم هذه الدولة وتوسيعها، معتمدة على قدرتها السياسية والعسكرية. وهذا ما أعطاها الحق في ان تخترق الموقف العربي فتعقد اتفاقات سلام مرة مع مصر ومرة مع فلسطين ومرة مع الأردن، كجزء من الخطط الصهيونية المستمرة، وهذا ما بدأته في فلسطين أولاً للقضاء كلياً على أي أملاً في التحرير وإقامة الدولة.

ومع هذا كله، فإن الامل موجود، والإرادة تفتح الطريق امام الأمة العربية لتكتب التاريخ او تستعيده بالتضحيات على أرضية العلم والايمان والعمل بهما معاً، أُمة جبّارة، تحلم بالنصر لتكتب التاريخ لتقف بقوة وعزم بالمشروع النهضوي العربي ضد المشروع الاستعماري – الصهيوني، لان هذا هو جوهر الصراع الذي لا ينتهي بما يسمى "السلام".

وحتى يحقق المشروع الصهيوني غاياته الاستعمارية في المنطقة العربية لجأ الى سياسة "فرّق تسد" بهدف التفرقة بين الأنظمة العربية، ليخلق الفساد والفتنة بين الامة. ومن هنا كان لا بد للشعوب العربية ان تتحرك وأن تحدد مصيرها بيدها.

وهنا تنطبق المقولة "إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد ان يستجيب القدر"[[2]](#footnote-2)، فالشعوب العربية تُؤمن بالحياة وتحلم بالعيش الكريم، وهذا ما شاهدناه في الثورات العربية "الربيع العربي" في الاعلام، من خلال الحركات الاحتجاجية السلمية الضخمة والتي انطلقت في بعض البلدان العربية خلال أواخر عام 2010 ومطلع عام 2011، متأثرة بالثورة التونسية التي اندلعت جراء احراق محمد البوعزيزي نفسه حيث نجحت في الإطاحة بالرئيس السابق زين العابدين بن علي، ولان الشعب قاوم الفساد والركود الاقتصادي ولأنه أراد ان يعيش بكرامة، كما انه قاوم التضييق السياسي والأمني وعدم نزاهة الانتخابات في معظم البلاد العربية. وكذلك نجحت ثورة 25 يناير 2011 بإسقاط الرئيس السابق محمد حسني مبارك، ثم ثورة 17 فبراير الليبية بقتل معمر القذافي واسقاط نظامه، فالثورة اليمنية التي أجبرت علي عبد الله صالح على التنحي. واما الحركات الاحتجاجية فقد بلغت جميع انحاء الوطن العربي، وكانت اكبرها هي حركة الاحتجاجات في سوريا. وهذه الحركات كانت تحت شعار "الشعب يريد اسقاط النظام".

وأخيراً، ولأن الشعوب العربية خُلقت من الطين، وارتوت ارضها من الدماء النقية الطاهرة، فلم تُهزم يوما، رغم بشاعة وحجم الجرائم التي ارتكبتها الحركة الصهيونية في المنطقة العربية، وإن هُزمت هذه الشعوب العربية مرة، فلقد انتصرت مرّات كثيرة. لذلك ما زال الحلم موجوداً والامل باقي في ان تحصل يوما على الاستقلال، ولا بد للاستعمار ان ينجلي ولا بد للأمة العربية ان تنتصر.

1. **مثل قصة" أكلت يوما أكل الثورة الأبيض". كليلة ودمنة.** [↑](#footnote-ref-1)
2. **قصيدة "إذا الشعب يوما أراد الحياة". كلمات: أبو القاسم الشابي. الحان: وجدي شيا.** [↑](#footnote-ref-2)